

حمام قاطافة بمنطقة البويرة-دراسة تاريخية وأثرية-  
Hammam Qatattfa in Al-Bouira area a historical and an archeological study

ذهبية محمودي<sup>1\*</sup>

<sup>1</sup>معهد الآثار، جامعة الجزائر 2 [univ-alger2.dz@dehbia.mahmoudi](mailto:univ-alger2.dz@dehbia.mahmoudi)

تاريخ الإستلام 2022/03/19 تاريخ القبول 2022/12/13 تاريخ النشر 2022/12/26

الملخص :

حمام قاطافة، معلم أثري يتواجد بمنطقة البويرة ،بني نهاية الفترة العثمانية، مازال يحافظ على مخططه الأصلي ،والهدف من دراسته هو التعريف به وبأهميته في عملية التأريخ للمنطقة، بدأ يفقد بعض خصائصه الأصلية نظرا لقلة الاهتمام به لكونه ملكية خاصة ، نتيجة تعرضه لترميمات عشوائية، فمن خلال هذه الدراسة وثقنا لهذا المعلم بدراسة أثرية وافية ، ونأمل أن تصبح مرجعا لترميمه مستقبلا ، كما طالبنا من السلطات تصنيفه وطنيا وإدراجه ضمن قائمة التراث الثقافي المادي، الذي هو جزء من هويتنا الوطنية.

الكلمات المفتاحية: العمارة المدنية، حمام قاطافة، منطقة البويرة

**Abstract**

Hammam Qatattfa is an archaeological landmark. It is located in the Bouira region. It was built at the end of the Ottoman period, it still maintains its original plan. The goal of studying this landmark is to introduce it and to emphasis on its importance in the process of dating the region. Being a private property, it didn't benefit of a lot of restorations it was only subjected to random ones and as a result it lost some of its original and distinctive features. Throughout this study, we aim to document this landmark and we hope that our study will be considered as a reference in any future restoration. We also have demanded from the authorities to classify Hammam Qatattfa nationally and to include it in the list of our material heritage, which is a part of our national identity

**Keywords:** Bouira area, civil architecture, qatattfa bath

## 1. مقدمة:

تعتبر الحمامات من أهم المنشآت العامة، التي أقيمت في جل مناطق الوطن، وذلك منذ أقدم الحضارات، خاصة خلال الحضارة الرومانية، غير أنها تميزت وأنشأت بكثرة خلال الفترة الإسلامية، لما أوجبه الإسلام على المسلمين من التطهر والاعتسال والنظافة التي ترتبط بالصلوات الخمس، فلذلك أصبح تشييد الحمامات العامة في مختلف المدن الإسلامية، لا يقل أهمية من بناء وتشييد المساجد والأسبلة والأسواق، ويعتبر حمام قطاطفة من بين المعالم الأثرية التي لا تزال شامخة تؤدي وظيفتها على أحسن مايرام، حيث يقع هذا الأخير في النطاق الجغرافي لولاية البويرة حاليا، وبالضبط بوسط دائرة عين بسام غرب الولاية، فمن خلال هذه الورقة البحثية، أنقلكم في زيارة ميدانية الى هذا المعلم بغرض دراسته دراسة أثرية، نقف من خلالها على المخطط العام للحمام والتقسيمات المعمارية ومدى أهميتها والوظيفة المسندة اليها، وكذا الجانب الفني والزخرفي، الذي حظي به هذا المعلم، بغرض التأريخ له والتعريف به، كونه معلما أثريا يدخل ضمن التراث الثقافي المادي، الذي تزخر به الجزائر، ولإلمام بالموضوع تم طرح التساؤلات التالية:

- ماهي الفترة التاريخية التي تم من خلالها تشييد هذا المعلم؟

- ماهي مميزاته المعمارية والفنية؟

فيما تكمن أهميته؟، كونه أحد المعالم الأثرية الوحيد، الذي يؤرخ لتواجد مثل هذه المعالم بمنطقة البويرة.

وللإجابة على هذه التساؤلات المطروحة، استعملنا المناهج التالية:

المنهج التاريخي: لمتتبع التطور المعماري للحمامات عبر العصور

المنهج الوصفي: لدراسة الحمام دراسة أثرية، التي تعتمد بالدرجة الأولى على الوصف الدقيق لكل تركيباته المعمارية والفنية.

والمنهج المقارن: بمقارنة مخططه العام ووحداته المعمارية والنظام الزخرفي، بما هو موجود من حمامات في مدن أخرى جزائرية، بغرض التأريخ له، لأنه لا توجد أي وثيقة تذكر تاريخ تأسيسه بالضبط.

أما الهدف من هذه الدراسة: فهو التعريف بهذا المعلم الهام، ولفت الانتباه اليه من طرف السلطات المحلية والوطنية لترميمه وتصنيفه ضمن قائمة المعالم الأثرية الوطنية المصنفة، لأنه جزء من التراث الوطني، الذي هو

أساس الهوية الوطنية، كما يعتبر حمام قباطفة المعلم الوحيد، الذي يؤرخ لهذا النوع من المعالم بمنطقة البويرة خلال الفترة العثمانية.

## 2. تمهيد:

يعتبر حمام قباطفة المعلم الأثري الوحيد، الذي يؤرخ لتواجد هذا النوع من المعالم بمنطقة البويرة، وكذا المعلم الوحيد الذي يؤرخ للفترة العثمانية بذات المنطقة، غير أن هذا الأخير يوماً بعد يوم يفقد أصالته المعمارية، كونه ملك للخواص ولازال مستغلا إلى يومنا هذا كحمام عمومي، يقصده أهالي دائرة عين بسام بانتظام خلال أيام الأسبوع مناصفة بين النساء والرجال، وقبل التفصيل في تاريخ وعمارة هذا المبنى الأثري حري بنا أن نتطرق إلى الظهور التاريخي لهذا النوع من المعالم، الذي يندرج ضمن المعالم المدنية التي لا تخلوا منها أي مدينة إسلامية.

## 3. الحمام في العصور الإسلامية :

### 3-1-العصر الوسيط:

لقد كان للحمام سمعة سيئة لدى المجتمع الإسلامي المبكر وهذا نظرا للصورة النمطية الموروثة من العهد الروماني من عري وبذاءة وانحلال، والتي تركبت لدى ذلك المجتمع المسلم الذي اتسم بالبساطة وخشونة العيش والجهاد والدعوة، وهذه الظروف لم تسمح للحمام العام أن يكتسب أي مكانة اجتماعية أو دينية أو عمرانية طوال العهدين النبوي والراشدي (1).

في عهد الفتوحات وانتشار الإسلام في الأقاليم، بدأ المسلمون يهتمون بالحمامات العمومية ويدركون مدي أهميتها في النسيج العمراني للمدن الإسلامية حديثة النشأة، حيث شيدت ثلاث حمامات بالبصرة على عهد "سعد بن أبي الوقاص"، وتذكر المصادر التاريخية أن "عمرو بن العاص" اختط بالفسطاط حماما يقال له "حمام الفار" كناية على صغره مقارنة بالحمامات الرومانية، وبقيام الدولة الأموية بدأ الاهتمام بإنشاء الحمامات، فبالغوا بإنشائها وجهزوا قصورهم بها وعملوا على زخرفتها وتزينها بأجمل الزخارف وأبهى الصور حتى توفر لهم سبل الراحة البدنية والنشوة الروحية<sup>(2)</sup> ومن الحمامات المشهورة لهذا العهد حمام قصير عمرة المؤرخ بناؤه ب(95هـ/715م)، وحمام قصر خربة المفجر المشيد زمن هشام بن عبد الملك (105هـ - 125هـ/724م-743م)، وحمام الصرخ المشيد سنة (106هـ/725م)، الذي يشبه إلى حد كبير حمام قصير

عمرة، إذ يعد الحمام الأموي استمراراً للتقاليد الرومانية من حيث التخطيط وبشكل يكاد يكون مطابقاً في نموذج قصير عمرة، والذي يتألف من قاعة ذات ثلاثة أجنحة تنتهي بقاعة مخصصة لنزع الملابس، تحاذيها على الجانبين مقصورتان وتفتح القاعة على قاعتين إحداهما إلى الجنوب وهي القاعة الباردة مغطاة بقبة، أما الثانية فهي القاعة الدافئة مغطاة بقبة متقاطع، وتفتح هذه الأخيرة من جهة الشرق على قاعة ثالثة هي القاعة الحارة والمغطاة بقبة ولها مقصورتان، وتتصل هذه الأخيرة بدھليز يؤدي إلى قاعة كبيرة غير مكتملة البناء. (3)

إن اقتباس الأمويين لفكرة الحمام لم يكن بدون إجراء تعديلات فمثلاً التبريوم الذي كان يشكل محور ومركز المخطط الروماني، حيث كان يجتمع به المستحمون قبل وبعد الاستحمام، فقد انحسر في الحمام الأموي وأصبحت وظيفته إلى غرفة تغيير الملابس، وشغلت الغرفة الحارة في الحمام الأموي مكانة هامة ومركزية عكس الكلدريوم وهذا ما يدل على حدوث تحول جوهري وتجديد ظاهر وجلي في التصميم والتخطيط في ذلك العهد (4).

وأثناء الفترة العباسية تواصل الاهتمام بإنشاء الحمامات، حيث شاع انتشارها وتواجدها في مخططات المدن الإسلامية، حيث اعتبرت عند كثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة من أهم العمائر التي ميزت أحياء وشوارع الحواضر الإسلامية عموماً.

والحمام العباسي مخططه عبارة عن رجة واسعة، تسمى المخلع وظيفتها حفظ الملابس والاستراحة، ثم نجد قاعتين متلاصقتين، الأولى دافئة وذات حرارة لطيفة والثانية حارة أين يتم الاغتسال والتطهر وهي في الغالب تحتل مساحة واسعة، تعلوها قبة مزدانة بشمسيات زجاجية صغيرة الحجم بغرض إدخال الضوء وتحوي مخادع كثيرة مفروشة بالفسيخاء، كما انتشرت الأحواض الرخامية في القاعة الحارة وزودت بأنايب للماء البارد والحر، تنطلق من خزانات أعدت لهذا الغرض، أما القاعات الخارجية فكانت للاستراحة والتمدد وتناول الطعام والشراب (5).

في العهد الفاطمي والمملوكي، تواصل الاهتمام بإقامة الحمامات العمومية، فيذكر "المقريزي" أنه كان بمدينة الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً، وأن عددها بلغ بالقاهرة في أواخر القرن السابع الهجري ثمانين حماماً ويقول بعضها كان خالصاً للرجال وبعضها للنساء والبعض الآخر مشترك بينهما يتردد عليه الجنسين

في أوقات مخصصة لكليهما<sup>(6)</sup> ولقد تميزت الحمامات المملوكية بالانتشار الواسع والتوسع في كل الاتجاهات وهو ما يسمى بالمخطط المتقاطع المتعامد<sup>(7)</sup>.

أما في الأندلس وبلاد المغرب على مر العصور وتعاقب الدول والإمارات، فقد ظل الحمام أهم المنشآت العمومية بعد المساجد والقصور، ومن بين المدن التي تميزت بكثرة حماماتها مدينة قرطبة .

ولقد وصل عددها زمن الحاجب ابن أبي عامر (976م-1012م) إلى تسع مائة وإحدى عشر حماما<sup>(8)</sup>، واشتهرت حمامات بازة وغرناطة (الأندلس) وحمام الصباغين بتلمسان وحمام المخفية (فاس) والمؤرخة جميعها بين القرن الخامس والتاسع الهجريين الموافق للقرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين، ويعتبر حمام الصباغين نموذجا بنيت وفقه تلك الحمامات<sup>(9)</sup>.

### 2.3- الحمامات في العهد العثماني :

لم يخلو التخطيط العمراني لحواضر الدولة العثمانية من الحمامات، حيث كان لكل حي حمامه أو حماماته، للجنسين على حد سواء، ولقد ساهمت وظيفتها الاجتماعية الكبرى على العناية بها وتطويرها وإضفاء طابع جمالي مميز لها، لقد عرفت العمارة العثمانية نوعين من الحمامات :

أ- الحمامات العمومية الكبرى والمسماة بالتركية Hidcha أو Keplidcha وهي حمامات تتألف من مجموعتين متماثلتين من المباني، تخصص إحدهما للرجال والأخرى للنساء وتشتركان في الملاحق المستعملة للخدمات من أمثلتها حمامات خاصكي\*<sup>10</sup> وحمامات بايزيد الثاني.

ب- الحمامات المخصصة لعامة الشعب: وهي حمامات الأحياء وهي أصغر مساحة وأقل فخامة من المؤسسات الكبرى، ولقد أعتمد مخطط الحمامات العثمانية على مبدأ التعاقب والتسلسل في توزيع مختلف أقسام المبنى، اتخذت هذه الأقسام في غالب الأحيان الشكلين المربع والمستطيل، ويتكون مسقط الحمام التركي العثماني عموما من مدخل، السمة البارزة في الحمام، نلج من خلاله إلى غرفة الاستقبال ونزع الملابس Kumekan وهي واسعة وكبيرة تشتمل على عدة حجرات تعلوها قباب وهذه الحجرات متصلة فيما بينها، أحيطت غرفة الاستقبال بأروقة جانبية يبلغ عرضها ما بين 1.5م إلى 2.5م، وهي مرتفعة عن مستوى وسط القاعة وقد جهزت تلك الأروقة بسجاجيد وافرشه، بعدها يتم الدخول إلى القاعة الثانية الدافئة Sogukluk

،وهي عبارة عن مرحلة انتقالية ،حيث أن المستحم يتعود على ارتفاع درجة الحرارة بالتدرج قبل الولوج إلى القاعة الحارة .

أما أهم غرف الحمام التركي فهي القاعة الثالثة Hararet مخططها ثماني الأضلاع زواياه مهيأة على شكل حنيات أو مشكوات تنتشر بها أحواض متصلة بقنوات موضوعة داخل أسوار، أما الأحواض الصغيرة فقد وزعت على طول الأسوار بفواصل معينة بينها ،ترتبط فيما بينها بواسطة كراسي مرمرية، في حين زود وسط القاعة الحارة بمغطس يستغل أيضا للسباحة قبل الاغتسال في الأحواض أو مكعب كبير من الحجر المغطى بالرخام (السرة) كان يستغل للاستلقاء و التدليك (11) .

أما غرفة النار فتقع في آخر المبنى بالقرب من البيت الحار والنار، هنا لها دورين، دور تسخين المياه الموجودة في الموقد الكبير وتسخين الهواء في القنوات والأنابيب المارة تحت القاعات وتصل درجة الحرارة بالقاعة الحارة من 30° إلى 40° والمدفئة ذات شكل جرس ذو عمق محدب، حتى تسمح بمرور مستمر للمياه التي حرارتها تبقى

مستقرة (12).

من بين المميزات التي اتسمت بها الحمامات العثمانية مايلي :

- واجهاتها بسيطة والتي كان يستدل عليها من خلال مداخلها
  - انعدام النوافذ والفتحات والاعتماد على الشمسيات الموجودة على مستوى القباب لإدخال الضوء.
  - عملية تسقيف القاعات تتم بالقباب والأقبية
  - سمك ومتانة جدرانها التي سمحت للمبنى بالاحتفاظ بحرارة المبنى بكفاءة عالية .
- لقد عمم مخطط الحمام على كل المدن والحواضر التي خضعت لحكم الدولة العثمانية ابتداء من القرن العاشر الهجري الموافق للسادس عشر ميلادي، ففي مدينة الجزائر المحروسة ((...كان هناك من الحمامات حوالي ستين في أيام "هايدو"(رحالة اسباني كان بالجزائر ما بين 1578-1581) وكانت عبارة عن بناءات واسعة ونظيفة ومضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والمسخن ،يدخل المستحم فيدفع أجرة بورقتين اثنتين، ثم يضع ثيابه في قاعة خارجية ومنها يمر...، عبر بخار تزداد حرارته شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ما يسمى السكاك أو داسي المقابل للكلدريوم الروماني وهناك يتمدد على أرائك من القطيفة تغمرها سحابات من البخار الساخن المعبأ برائحة ذكية)) (13)

ويذكر "وليام شالر" سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر ما بين 1816-1842 في مذكراته: أن الحمامات العمومية في الجزائر تستحق الذكر لأنها تشبه بدقة حمامات القسطنطينية وحمامات القاهرة وغيرها من مدن الشرق ولذا اكتفى بالقول أن الحمامات كثيرة في الجزائر وأنه يعتنى بها وأن الإقبال عليها من طرف السكان كبير<sup>(14)</sup>.

#### 4-الحمامات بمنطقة البويرة:

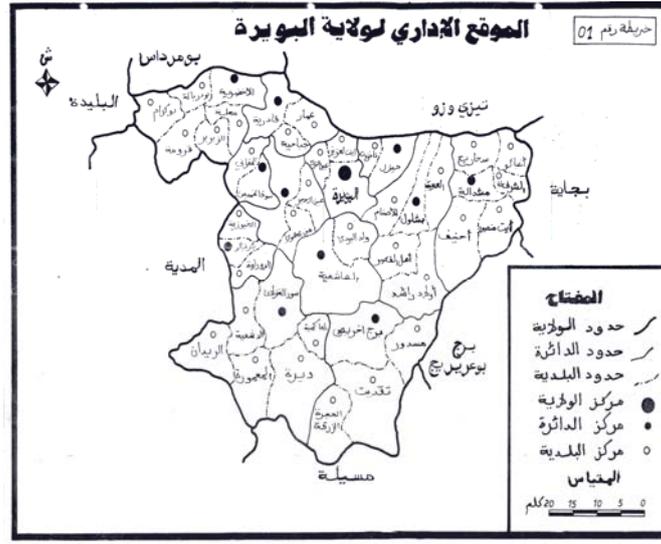
إن الحمامات الأثرية الموجودة إلى يومنا هذا بمنطقة البويرة تعد على الأصابع، نذكر منها

1.4-حمام كسانة: الذي كان يعرف عند عامة الناس بحمام فراكسة نسبة إلى القائد الروماني "فراكسن"، يعود تاريخه إلى الفترة الرومانية، يقع على بعد حوالي 35 كم جنوب الولاية، و12 كم شرق بلدية الهاشمية، نصل إليه بواسطة الطريق الولائي رقم 97، هذا الحمام يتمركز بين جبال البيبان مكان تدفق تيارين من المياه اللذين يكونان ما يعرف بواد زيان، من خلال تحاليل علمية أجريت على مياهه من طرف مكتب دراسات من فرنسا ( France stols) توصل هذا الأخير إلى أهميته العلاجية الكبيرة جدا لبعض الأمراض كالروماتيزم بشتى أنواعها، الأمراض الصدرية كالربو، مرض الدوالي... الخ.<sup>(15)</sup>

من الناحية الأثرية لم يبق من منشآته القديمة سوى بعض الآثار، حيث تم تجديده بصورة كاملة، فأعيد بناؤه بمواصفات حديثة، وهو اليوم مقصد مختلف الشرائح من مختلف مناطق الوطن لأهميته السالفة الذكر.

#### 4.2-حمام قطاظفة :

يقع حمام قطاظفة في وسط مدينة عين بسام التي تبعد عن مقر الولاية بحوالي 25 كم، يحده من الشمال نهج "محمد حمزة" ومن الجنوب نهج 17 شارع الشهداء، أما من الشرق فيحده مباني سكنية ومن الغرب نهج "محمد رزيق". (الخريطة 01)



خريطة 01: تبين الموقع الإداري لمنطقة عين بسام ضمن ولاية البويرة/ عن الإدارة المحلية للولاية البويرة

#### 1.2.4 لمحة تاريخية :

هذا المعلم أيضا لم نعثر على أي وثيقة تؤرخ لبنائه مما اضطرنا إلى العودة للوارث الشرعي للمبني (عائلة قشاطفة)، وهو اليوم ملك للسيدة "طبال لالاهم" أرملة المجاهد "طبال محمد" التي أكدت أن المعلم يعود إلى نهاية الفترة العثمانية، وتؤيد هذا الطرح التركيبة المعمارية له، التي تشبه كثيرا مواصفات عمارة الحمامات الإسلامية في العهد العثماني، تجدر الإشارة إلى أن المعلم تعرض لبعض الترميمات والتغيرات في تخطيطه الأصلي أثناء الفترة الاستعمارية، حيث أستغل كمعتقل من طرف الجيش الفرنسي أثناء الثورة التحريرية، واسترجع وظيفته الأصلية بعد الاستقلال مباشرة (الصورة: 03).

#### 2.2.4 الوصف الأثري :

المبنى عبارة عن طابقين، يشغل مساحة مستطيلة طولها 22.5م وعرضها 18م الواجهة الرئيسية تقع في الجهة الجنوبية وهي عبارة عن بانكة تتكون من اثني عشرة (12) عمودا حلزوني الشكل منتهية بتيجان مرتكزة عليها عقود مفصصة، بدننها الخارجي زين ببلاطات خزفية من اللونين الأخضر والأبيض مشكلا تجانسهما أشكال هندسية قوامها معينات وخطوط منكسرة، أما بطون العقود فزخرفت بأشكال نباتية قوامها أزهار مفصصة و مخرمة من مادة الجص. (الصورتان: 01، 02)



الصورة:02 / الاعمدة الحلزونية وزخرفة بدن العقود ببلاطات خزفية

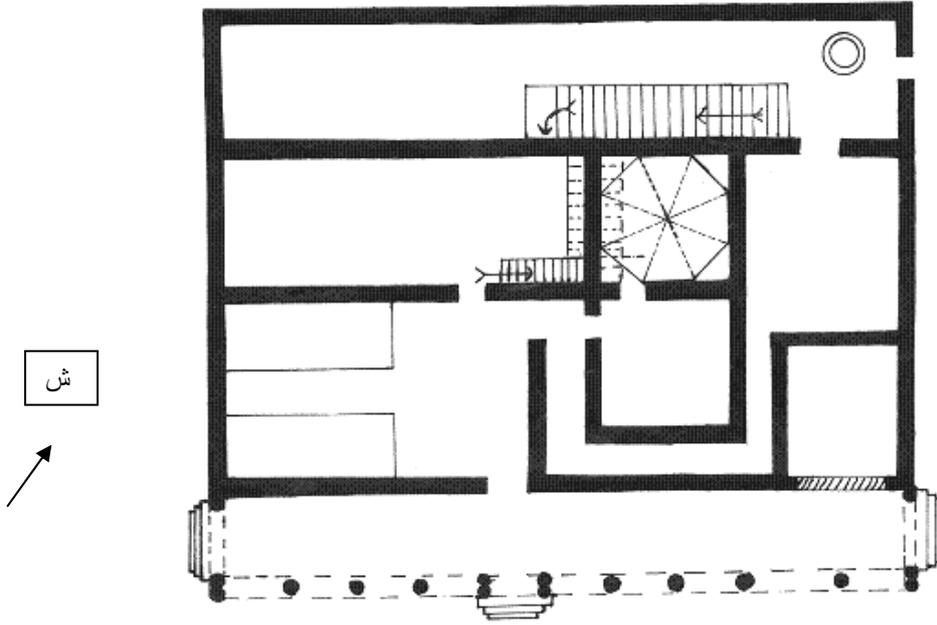


الصورة:01: زخرفة باطن العقد

شكلت هذه البائكة مع جدار الواجهة الذي فتح على مستواه نافذتين معقودتين يتوسطهما المدخل الرئيسي والأصلي للحمام، وهو مدخل معقود زين أعلى العقد بزخرفة جصية مطابقة لزخرفة بطون البائكة، كما جسد رمز هلال مقلوب إلى الأعلى تتوسطه نجمة خماسية وهو مغلق حالياً، حيث تم إحداث مدخل جديد في نهاية الرواق.

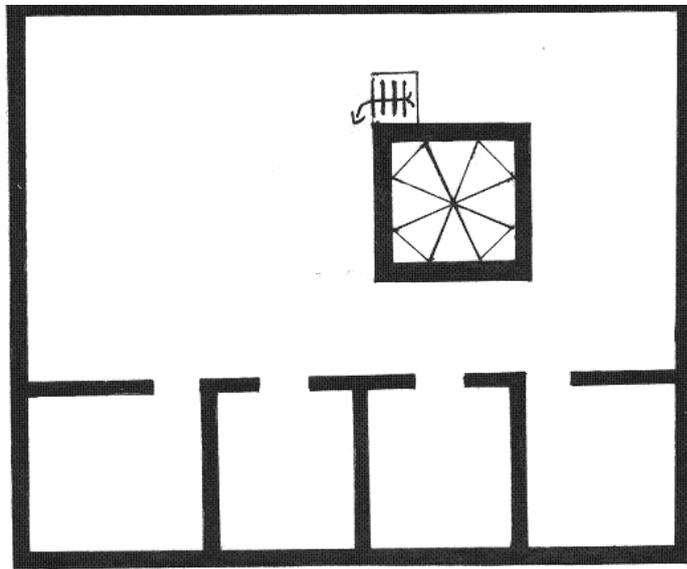


الصورة:03/منظر عام لحمام قضاة بعين بسام



سم (1/200)

المخطط رقم 01: مقطع أفقي للطابق الأرضي لحمام قظاطفة / عن الباحثة

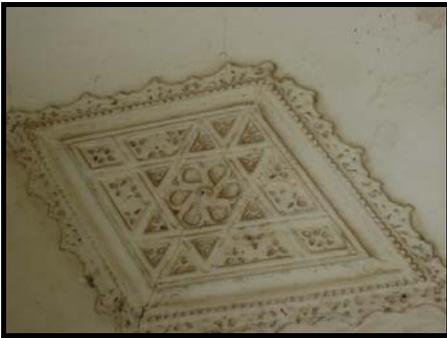


سم (1/200)

المخطط رقم 02: مقطع أفقي للطابق العلوي لحمام قظاطفة / عن الباحثة

الرواق طوله 22م وعرضه 2.58م توزعت على هذه المساحة كما ذكرنا أنفا اثني عشر عمودا، يبعد كل عمود عن الآخر بـ 0.90م، في حين زين سقف الرواق بثلاث جامات مختلفة الأشكال صنعت من مادة الجص بطريقة القولية لأن الزخارف المجسدة تفنقت نوعا ما للجودة الفنية، فالجامتين الجانبيتين، كل واحدة عبارة عن نجمة ثمانية الأضلاع، مركزها نجمة صغيرة الحجم، تليها نجمة أخرى، حافظتها عبارة عن حبيبات صغيرة، تليها شريط عريض نوعا ما يحيط بجميع أضلاع النجمة، أما مساحة الأضلاع فخرمت بأشكال نتجت عنها مثل فروع النباتات.

أما الجامة الثانية التي تتوسط الجامتين المذكورتين أنفا، فهي عبارة عن معين تتوسطه زهرة سداسية الأشكال جسدت بالبحث البارز داخل معين قسم أفقيا وعموديا بأشرطة جصية نجمت عنها مربعات ومثلثات شغلت بتخريجات ثلاثية، يلي هذا المعين شريط عريض مسنن في نهايته، يليه شريط آخر جسدت عليه نفس الأشكال السابقة ينتهي بأشكال منكسرة (اللوحة: 01)



اللوحة: 01/الجامات الجصية التي تزخرف سقف رواق الواجهة الرئيسية بالحمام

المدخل الرئيسي والأصلي للحمام متوج بأربعة أعمدة حلزونية موزعة مثنئى، مثنئى تحمل عقد متجاوزا

(اللوحة: 02).



اللوحة:02/ المدخل +الواجهة الرئيسية للحمام

الحمام يتألف من عدة مرافق وهي كالتالي :

-غرفة الاستقبال: وهي غرفة مربعة الشكل مقاساتها (5 x 5)م<sup>2</sup> زخرفت جدرانها الأربعة بزخارف نباتية قوامها أزهار مفصصة ومخرمة ،غطت كل المساحة ،كما جسدت على مستوى ارتفاع الجدران الأربعة عقود نصف اسطوانية بارزة عن مستوى الجدران بحوالي 10سم،أما نهاية الجدران من الأعلى فزخرفت بأفاريز خشبية على شكل مقرنصات أضفت على الغرفة صورة جمالية مميزة(الصورة:04).



الصورة:04/أحد جدران غرفة الاستقبال

فتح في الجهة الجنوبية للغرفة مدخل يؤدي إلى غرفة مستطيلة،حاليا غير مشغولة كما فتح في الجهة الشرقية مدخل معقود زين أعلاه بهلال ونجمة خماسية الأضلاع رمز الدولة العثمانية ،يضيفي هذا الأخير إلى المرافق الأساسية للحمام،حيث نجد سلم يتكون من أربعة درجات يؤدي إلى رواق طوله 1.60 م ،فتح في وسط جداري هذا الرواق مدخلين متقابلين يؤديان إلى غرفتين مستطيلتين (4.50 x 1.85)م<sup>2</sup>،إحدهما استعملت

كمخزن ،كما نلج عن طريق مدخل فتح في الغرفة اليمنى إلى غرفة أخرى مستطيلة مقاساتها(5م<sup>2</sup> x 2.85م<sup>2</sup>)، استعملها صاحب الحمام كملجأ لبعض المسنين الذين لا يملكون مأوى ،في نهاية الرواق على اليمين فتح مدخل توجد على يمينه دورة المياه ،وهي مربعة الشكل بمقاسات (1 x 1)م<sup>2</sup>، يلي دورة المياه رواق عرضه 0.85م، وعلى بعد 1.85م فتح مدخل آخر يؤدي إلى الغرفة الباردة وهي مستطيلة الشكل مقاساتها(3.10 x 3.35)م<sup>2</sup>، سقفت هذه الغرفة بأقبية نصف برميلية(الصورة:06)، مما يدل على أن الحمام تعرض إلى تغيرات أثناء الفترة الاستعمارية، في الجدار الجنوبي للقاعة فتح مدخل يؤدي إلى القاعة الساخنة أو الدافئة وهي مربعة الشكل مقاساتها (4.20 x 4.20)م<sup>2</sup>، يعلو هذه القاعة قبة ثمانية الأضلاع زودت بأربع فتحات معقودة موزعة بالتساوي على مستوى أضلاع القبة (الصورة:07)، تستعمل للتهوية والإضاءة، تم الفصل بينها وبين القاعة بأقبية نصف اسطوانية هي امتداد لسقف القاعة الباردة، يؤدي مدخل مقابل لمدخل القاعة الدافئة إلى غرفة مستطيلة جهزت بآلات حديثة لتسخين الماء

يمون هذا الحمام بالمياه عن طريق بئر يقع في الجهة اليمنى خلف الواجهة الرئيسية (الصورة:05).



(الصورة:05) البئر الذي يغذي الحمام بالمياه

نصعد إلى سطح الحمام عبر سلم نشرف من خلاله على منزل عائلة طبال الذي يحتوي على أربع قاعات خالية من أي عناصر أو وحدات معمارية أو عناصر زخرفية.

الجدير بالذكر أن الغرف محاطة بداربزين من جميع الجهات ينتهي بشرفات أضفت على المبنى صورة جمالية مميزة.



الصورة:07/ القبة التي تغطي القاعة الساخنة بالحمام



الصورة:06/ سقف بأنصاف الأقبية المعدنية

#### - مواد البناء:

الملاحظ أن مادة الآجر، كان لها النصيب الأوفر، حيث استعملت بشكل كبير وفي جل الوحدات المعمارية لطبيعة المعلم كونه حمام يحتاج إلى مادة حافظة للحرارة ومقاومة للرطوبة كالآجر، فأستعمل هذا الأخير في بناء العقود، وبدن البئر.

أما الجص فأستعمل لكساء بعض سقوف وجدران غرف الحمام بالقولية والتخريم، في حين أستعمل الخشب في صناعة النوافذ والأبواب، كما أستعمل كأفاريز مقرنصة في تزيين غرفة الاستقبال.

مادة الزليج التي بلطت به أرضيات الحمام جلها حديثة، دلنا صاحب المعلم على نمودجين من البلاطات الأصلية للحمام وهي بلاطات ملونة، زينت بزخارف هندسية قوامها شكل نجمي، تتطلق من وسط أضلاعه أشكال تشبه الأقلام توضع بطرق وأحجام مختلفة أما النوع الثاني فهو عبارة عن خطوط منكسرة ومستقيمة، بتداخلها شكلت مستطيلا، عرضيه عبارة عن خط منكسر وطوليه عبارة عن خط مستطيل، أما الألوان المستعملة في هذه البلاطات فتتمثل في اللون الأبيض، البني بنوعيه الفاتح والغامق، إضافة إلى اللون الأخضر (اللوحة:03)





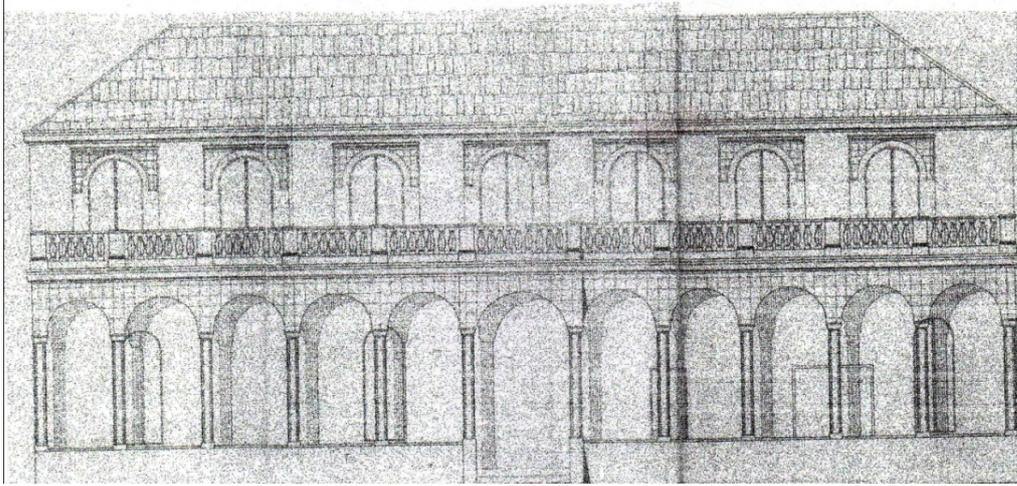
اللوحة:03/أنواع البلاطات الخزفية بحمام قضاظة

الجدير بالذكر أن الجهتين الشرقية والغربية، قد أعيد تهيئتهما من طرف صاحب الحمام سنة 1985م، حيث تم بناء أربع محلات بالجهة الشرقية وثلاث محلات بالجهة الغربية.

5-التحليل المعماري :

إنشاء الحمامات العامة بالمدينة يعكس مدى الحاجة إليها، تلك الحاجة التي تعكسها عدم قدرة الناس على إنشاء حمامات خاصة بمنزلهم لتكاليفها الباهظة، وصعوبة التزود بالماء وتسخينه وتصريفه في شبكات الصرف وآباره<sup>(16)</sup>، والحمام الإسلامي بصفة عامة يتكون من أربع غرف، الأولى لخلع الملابس والثانية باردة والثالثة دافئة والرابعة ساخنة إلى جانب الغرفة الخاصة بالموقد، يقابل هذا التقسيم في الحمامات الإسلامية بالشام البراني وهو القسم البارد والوسطاني، يقابل القسم المعتدل والجواني وهو القسم الحار، أما القميص أي بيت النار فهو نفسه المسمى hypo causte، الذي يسخن مياه الحمام المنتشرة بواسطة أنابيب فخارية أو حجرية بين أجزاء الحمام<sup>(17)</sup>، وهذه التقسيمات نفسها وجدت بحمام قباطفة ببلدية عين بسام، لقد جاء تخطيط المرافق الرئيسية

بشكل



للحمام

متتالي، فهو ذو شكل مستطيل تتقدمه غرفة الاستقبال، فتح في الجهة المقابلة لمدخلها مدخل آخر يؤدي إلى رواق يكتنفه على الجهة اليمنى دورة للمياه تتألف من قسمين وفي نفس المحور يوجد مدخل يؤدي إلى الغرفة الباردة ومنها إلى الغرفة الدافئة فالغرفة الساخنة التي غطيت بقبة مضلعة ومنها نجد الموقد أو ما يسمى بالفرنق، كما يوجد به بئر لتزويد الحمام بالمياه اللازمة (الشكل: 01).

الشكل 01:الواجهة الرئيسية لحمام قاطفة/ عن صاحب الحمام

ويرجع أصل هذا التخطيط إلى العصر الروماني ومنها انتقل إلى الحمام الإسلامي منذ الفترات الأولى، كما هو الحال في حمام قصير عمرة (95هـ/715م) وحمام الصرخ (106هـ/725م) وحمام قصر خربة المفجر المشيد زمن هشام بن عبد الملك (105هـ-125هـ/724-743م) ومن ثم انتشر في باقي أنحاء العالم الإسلامي عبر مختلف الفترات التاريخية<sup>(18)</sup>، فحمام قاطفة من حيث التخطيط يشبه كثيرا حمام وجده بالمغرب<sup>(19)</sup>

فهو يتألف من :

- قاعة الاستقبال والى جانبها قاعة أخرى استغلها صاحب الحمام كمخزن.

والرواق المؤدي إلى القاعة الباردة، سقوفهم عبارة عن ألواح خشبية رصت إلى بعضها البعض بشكل محكم



الصورة:08/السقف الأصلي في بعض الغرف

حسب صاحب الحمام فهي سقوف أصلية(الصورة :08) ، أما القاعة الباردة والدافئة فسقفيهما عبارة عن أنصاف أقبية معدنية(الصورة:07)، والتي تعود في الأصل إلى الفترة الاستدمارية، في حين القاعة الساخنة غطيت بقبة(الصورة:06)، حيث عرف هذا التخطيط المتمثل في النوع المغطى بقبة بالجزائر بحمام سيدنا(10هـ/16م)<sup>(20)</sup>، وحمام الجيش(11هـ/17م) وفي تونس حمام صاحب الطابع (13هـ/19م)، وفي مصر

كانت جميع الحمامات ذات قاعات حارة مغطاة بقباب مزلعة وهو نفسه النظام الذي غطيت به القاعة الساخنة في حمام قصير عمره وحمام الصرخ<sup>(21)</sup>.



الصورة:07/ سقف بأنصاف الأقبية المعدنية



الصورة:06 / القبة التي تغطي الغرفة الساخنة بحمام

أما الفرناق فحاليا يتم تشغيله بطريقة عصرية، أي يتم تسخين الماء بواسطة الكهرباء يقع بعيدا عن قاعة الاستقبال بجوار القاعة الساخنة، له باب خارجي فتح في الواجهة الغربية للحمام، حيث لا يربطه بداخل الحمام أي ممر وفي الجهة الشرقية للحمام يقع البئر الذي يزود الحمام بالمياه وهو لا يزال يقوم بوظيفته إلى يومنا هذا .

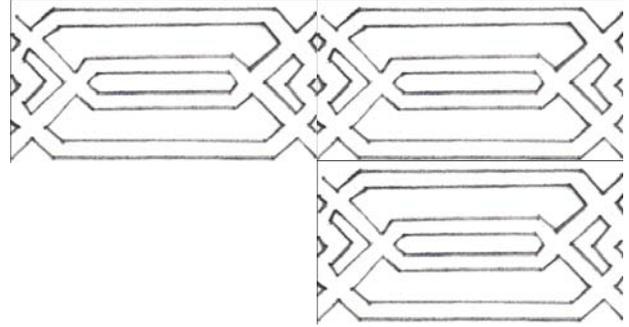
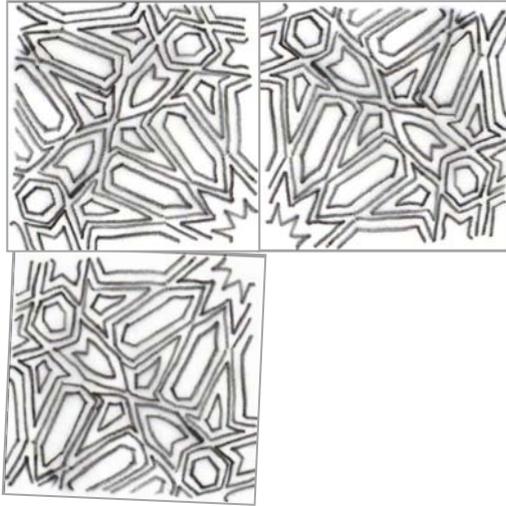
الجدير بالذكر أن حمام قطاظفة هو اليوم مخصص للرجال والنساء، حيث تخصص الفترة الصباحية للرجال والفترة المسائية للنساء، جاء مدخل الحمام منكسرا، فحسب صاحب الحمام بني في فترة لاحقة ، لأن المدخل الرئيسي الذي نلج عن طريقه مباشرة إلى غرفة الاستقبال سد من طرف صاحب الحمام واستحدث مدخلا آخر منكسرا ، حيث لا يمكن للناظر إلى داخل الحمام أن يرى غرفة الاستقبال ونفس الشيء بالنسبة لغرفة الاستقبال التي فتح في منتصف أحد جدرانها مدخلا يؤدي إلى رواق ينكسر على الجهة اليمنى يؤدي إلى الغرفة الباردة، حيث يعد استخدام المداخل المنكسرة في الحمامات أمرا مألوفا في العمارة الإسلامية، فوجدت له أمثلة عديدة في المغرب والمشرق.

أما فيما يخص طرق وأساليب التهوية والإضاءة، فتتم بواسطة نوافذ مستطيلة موجودة بغرفة الاستقبال ، إضافة إلى الفتحات المربعة الموجودة بالقبة .

بلطت الأرضية ببلاطات خزفية حديثة، بقي نموذجين من البلاطات الأصلية للحمام والتي تعود الأولى إلى البلاطات الخزفية التونسية فهي ذات زخارف نباتية يغلب عليها اللون الأصفر، في حين النموذج الثاني ذي زخارف هندسية لم أستطيع تحديده أصله، حيث غلب عليه اللون البني (اللوحة:03،04)، (الشكل: 02).



اللوحة:04/ انواع البلاطات الخزفية بالحمام



الشكل 02/ أنواع البلاطات بالحمام /عن الباحثة

## 6. خاتمة

حمام قواطفة من المعالم المدنية النادرة التي تزخر بها منطقة البويرة وبالضبط دائرة عين بسام حاليا، لم يخضع لأي دراسة تاريخية أو أثرية من قبل، رغم أهميته المعمارية والفنية، ومن خلال هذه الدراسة الأثرية المفصلة، ومن خلال المنهج المقارن، نستطيع أن نرجع تاريخ تأسيسه إلى نهاية الفترة العثمانية، كونه يشبه كثيرا الحمامات التي بناها العثمانيون بمختلف مدن الجزائر، فهو إذن معلم أثري هام يصنف ضمن المعالم المدنية النادرة، التي تزخر بها منطقة البويرة، غير أن ملكيته للخواص، ستفقد قيمته الأثرية لتدخلهم العشوائي في كل مرة لترميمه، لذا أقترح أن تنتقل ملكيته لوزارة الثقافة، وتعيض مالكة وفق قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، وأن يصنف تصنيفا وطنيا وترصد له مبالغ مالية لترميمه ترميما مدروسا يحافظ على أصالته، لأنه معلم هام جدا يضاف إلى قائمة التراث الثقافي، الذي تزخر به الجزائر، وإذا ما أستغل أحسن استغلال، سيصبح مع الوقت وجهة سياحية في إطار السياحة الثقافية، التي باتت اليوم أكثر من ضرورية لتنشيط الاقتصاد الوطني.

ويبقى حمام قطاطفة المعلم الوحيد الذي يؤرخ لهذا النوع من المعالم بمنطقة البويرة.

### الاحالات والهوامش:

- (1) عز الدين حضري، حمامات القرن الثالث عشر هجري /التاسع عشر ميلادي، بمدينة البلدية، دراسة وصفية تحليلية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص38
- (2) عفيف بهنسي، الفن العربي الإسلامي في بدايته تكونه، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1997م، ص17
- (3) كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991، ص ص 10، 9
- (4) دائرة المعارف الإسلامية، مادة الحمام، ج 14، ص 4315
- (5) سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986م، ص ص 329، 328
- (6) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص81
- (7) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع سابق، ص 485
- (8) أحمد بن محمد التلمساني المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وأخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، تحقيق إحسان صادق، دار صادر، بيروت، 1968م، ص458
- (9) أحمد المرسي الصفصافي، استانبول عبق التاريخ، روعة الحضارة، ط1، دار الفاق العربية، القاهرة، 1999، ص135
- (10) \*بناها المعمار العثماني سنان باشا سنة 1553م وهي حمامات مزدوجة غير عادية في أبعادها الكبيرة المستحدثة وطرق زخرفتها البديعة وأساليب بنائها المبتكرة، انظر عز الدين حضري، المرجع السابق، ص 47
- (11) عز الدين الحضري، المرجع السابق، ص 47
- (12) نفسه، ص 48
- (13) سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 95، 96
- (14) عزالدين الحضري، المرجع السابق، ص 49
- (15) Direction de tourisme de la wilaya de Bouira, op-cit ,p49
- (16) عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص 314
- (17) عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المرجع السابق، ص 14
- (18) عيد يوسف، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج 2، دار الكلمات للنشر، 1995م، ص 1445
- (19) عز الدين حضري، المرجع السابق، ص 127، (الشكل 02)
- (20) سليمة موساوي، "الحمامات الجزائرية في العهد العثماني"، حمام سيدنا نموذجاً، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية من 19 إلى 24 /أفريل، وزارة الثقافة، 1996م، ص 69-80

<sup>21</sup> (عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 551

#### . قائمة المصادر والمراجع:

##### أ-المصادر:

- المقرئ أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وأخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، تحقيق إحسان صادق، دار صادر، بيروت 1968.
- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1992.

##### ب-المراجع:

- بهنسي عفيف، ألفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت
- دائرة المعارف الإسلامية (د.ت)، مادة الحمام، ج 14، القاهرة 1997م.
- سامح كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة 1991م.

- الصفصافي، أحمد المرسي، استانبول عقب التاريخ، روعة الحضارة، ط1، دار الفاق العربية، القاهرة 1999م.
- عبد الحميد، سعد زغلول، (1986)، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية
- عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978 .
- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م.
- يوسف عيد، موسوعة الحضارة الإسلامية، ج 2، دار الكلمات للنشر، القاهرة 1995م.
- *Direction de tourisme de la wilaya de Bouira, monographie touristique, 2007*

#### الأطروحات:

- عبد القادر دحدوح ()، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2010/2009.
- حضري عز الدين، حمامات القرن الثالث عشر هجري /التاسع عشر ميلادي، بمدينة البلدية، دراسة وصفية تحليلية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009/2008م.

#### المقالات:

- سليمة موساوي، "الحمامات الجزائرية في العهد العثماني"، حمام سيدنا نموذجاً، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية 19 الى 24/افريل، 1996، وزارة الثقافة، الجزائر